

حملة هكس باشا

من كتاب تاريخ السودان

هكس باشا من ضباط الانكليز النابضين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة ولقائد برتبة كولونل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما انقضى جيش عرابي وصدر الامر بارساله مدداً الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان فبرح مصر في ٧ فبراير وصار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٢ مارس سنة ١٨٨٣ وتبعه جيش عرابي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفاً من اربعة آليات في كل ايام ثلاث اورط وجموعه نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربعة ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان ١ جي الاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي الاي والميرالاي ابراهيم بك حيدر قومندان ٣ جي الاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي الاي فاقام هذا الجيش في ام درمان وبنى فيها رجب بك صديق طاية اشتهرت في حصار الخرطوم (واقعة الماربع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣) وكان اول ما افر عليه هكس باشا بعد وصوله الخرطوم ان يجرد حملة على ود بروجوب الذي كان لم يزل شاهراً العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليه الزعماء الذين خدمت عبد القادر باشا كود الصليحي وواحد المكاشف واخيوة عامر وغيرهم . فلما كانت يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي حسن بك مظهر والميرالاي ابراهيم بك حيدر ومع كل منهما ثلاث اورط واليوزباشي حسن عزمي قومندان الطوبجية ومعه سبعة مدافع و٦٠ رجلاً وسفوقان من سناجق الاتراك مع كل منهما ٤٠٠ رجل وصار بهذه القوة قاصداً الجبلين . وخرج ود بروجوب لقتاله بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في الماربع جنوبي ابا في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ وكان هكس قد نظم جيشه مربعاً فجعل حملة الجبال والمهات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا بجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تاماً حتى لا يبقى الى العرب سبيل الى دخوله ثم ترحول المربع قطعاً صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤوس محددة ثقف على ثلاثة منها . ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى اقبل الدراويش وفرنسانهم في ساقتهم مهاجرين ببيشة قوس فلما صاروا على حرمي الرصاص صدرت الاوامر للعساكر فامطروهم سحابة من الرصاص برحت بهم تبريحاً وخاف فرسانهم

وكبراهم ان يثنيهم نقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحملوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت نرى الفارس مجرداً سيفه ومطلقاً عنان جواده قاصداً اختراق المربع فيصيه الرصاص فيقع فيضمد جرحه بيده ويعد الكرة راجلاً حتى يصره الرصاص الى ان ملثت الارض من قتلام فولوا الادبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احمد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالفاً وجرح ود بروجوب جرحاً اقمده حتى صار يحمل على سريره . اما جيش هكس فقد قتل منه رجلان وجرح عشرون وتقدم هكس يمشي الى الجبلين فوجد ديم الدر او يش خالياً فعاد الى الدويم قترك جيشه فيها وتقدم الى الخرطوم ليعد نفسه للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الاساسية لهذه الحملة لانها ميناء حسن على النيل الابيض وبها شونة قديمة ومنها تنفرح الطرق الى كردوفان

(حملة هكس باشا على كردوفان) وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قيل فالخ على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الابيض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنه في كردوفان الى ان يظهر للناس نفاقه او تضيق يد البلاد فيحصل من نفسه وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تنزل مسمحة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور ويحجز الفزال فامرت هكس باشا بالرحف على المهدي في الحال فكتب لتفرافاً في ٣ مايو الى حكومة مصر يقول انه لا يتحمل مسؤولية الحملة الا اذا كانت له القيادة العامة عليها ولما لم تلتفت الى طلبه قدم استفاذه في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ فامتت اذ ذاك بالامر ونقل سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عاماً على الحملة وامرت علاء الدين باشا بمرافقته كقومندان ثانٍ للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنه في الخرطوم

فشرح هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمه الاهتمام به وسائل النقل فارسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ حمل وكانت عنده ١٥٠٠ حمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ حمل . ثم ارسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تباعاً من الخرطوم وام درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ صار بيقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عنده فيها اربع اورط مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان المنظمة و ١٠ مدافع جبلية و ٤ كروب و ٦ من نوع الثور دنقلت . ما عدا ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠ حمل و ٣٠٠٠ بقل و ١٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠٠ فرس

واما ضباط الجيش العظام فهم الميرالاي سليم بك عوفي قومندان الآلاي الاول والسيد بك عبد الخالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ماعدا السناجق الباشبوزق . واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رقي الى رتبة لواء ورافق الجيش قومنداناً على الآلات الاربعة واما ابرهم بك حيدر قومندان الآلاي الثالث السابق فقد رُقي ايضاً الى رتبة لواء وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونل فركوهار رئيس اركان حرب و ٨ ضباط اركان حرب وسكرتيره الخاص ميخائيل انندي ناصيف اللبناني شقيق سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحربية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو التيمس والدالي نيوز والفرافيك وكلهم من الانكليز . وصحبه من الخبراء صالح غانم وابراهيم محجوب وأوا * ومن الملكة الوطنيون الذين استجيبهم من الخرطوم ليأمن شرم وبوليهم امر كركودفان في حالة النصر فتاوي بك ابوعموري البخاري الشهير وبساطي بك الطوسي باشكاتب الخرطوم وحمد بك التلب الجلي رئيس مجلس الاستئناف وعمود بك احمد ابني الكنزلي مدير الخرطوم وعبد الرحمن بك بان النقا الجلي من عمد التجار . وابق الكولونل ده كوتلوجن من اركان حرب في النيل بين الخرطوم وقاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي وفي حال وصوله الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة فلايتيخ من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٧٦ ميلاً وماؤها قليل وتصل الايتيخ من الشمال . وطريق شات طولها ٢٦١ ميلاً وماؤها كثير وتصل الايتيخ من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لانها اقصر وقال علاء الدين بطريق شات لان ماءها اغزر يكتفي الحملة فقراً الرأي على قول علاء الدين . وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فرمت بشات وتركت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى ابارزريقة وقبل الوصول اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شان خط الاتصال فاراد هكس ان يجعل في كل منزل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضه علاء الدين وقال ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلاً عن خط الاتصال اذ البلاد كلها قد سلت للمهدي فلا ترك حامية في منزل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة فنكون بذلك قد اهلكنا جانباً من رجالنا ولم نستند شيئاً فعقد هكس باشا مجلساً من الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فاجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش من ذلك الحين كأنه جسم واحد متأهب للقائد المدوق في كل لحظة . وكان

سيره بيته مربع عظيم في مقدمته الديلان فالطلائع فالضباط العظام فاركانت الحرب ثم المربع وهو مؤلف من المشاة في وسطه الطوبجية وفي ساقته الفرسان ثم الجبال والاحمال ثم الفرسان الباشبوزق وهم وراء انكل

وكان المهدي لا يفضل طرفه عين عن مراقبة حركات الجيش فلما اتاه خبر قيام هكس من الدويم امر اصحابه فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم خرج بنفسه ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر البلدي وانتدب اربعة من كبار قواده وهم : محمد عثمان الشهبير بأبي قرجة والشيخ نفلوا احمد وعبد الحلیم مساعد وعمرود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وامرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة وتعقب حركاتها وعدم محاربتها في واقعة بل ان يتاوشوها القتال ويمنعوا اهل البلاد من الانضمام اليها ويوافوه بالاخبار تباعاً . فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة في ١١ اكتوبر فلازمواها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا ورائها وطمروا الابار بعدها واذا رقت وقفوا بعيداً عنها وناوشوها القتال وما تطرف احد منها الا قتلوه حتى ان الجبال لم تستطع المرعي لانحصارها في المربع فجاعت واكلت قش رحالها وخارت قواها فمات كثير منها وبدأ اللغظ في الجند من ذلك الوقت فايقتوا بالخذلان وتوفعوا العوائب الوحشية وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خرفهم ولغظهم حتى رأوا انهم سائرون حتماً الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى المنهل الزهد في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٣ فقتلوا في جنوبيه ونزل امره الدراويش بقاتلهم في شماليه وذهب احد من عبد الحلیم الى الابيض فاخبر المهدي بما كان من امرهم وفر من الحملة قبل وصولها الى الزهد بقليل خادماً مكاتب الدالي نيروز وهو صف ضابط الماني اسمه كلوتس فذهب الى المهدي في الابيض واخبره ان الحملة في بأس وخوف شديد فايقن المهدي انه غالب لا محالة وامر كلوتس باعتناق الاسلام ففعل فسماه مصطفي وبقي في الاصر الى ان حاول النجاة من القلابات فمات في الطريق

واقام هكس في الزهد ستة ايام ينظر في طريق الحملة الى الابيض ولم يكن للابيض من الزهد الا طريقان : طريق اللبس وطريق البركة فقر الرأي على اختيار طريق البركة لانها اعزز ماء فسار بالجيش قاصداً المنهل المذكور وارسل في الطريق احد الخبراء ومعه عبد الى الابيض للاستعلام عن قوة المهدي ووجهته ووصل بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اكتوبر فوجد فيه ماء عذيراً فأقر على البقاء فيه الى ان يعود الخبير بخبر المهدي * فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد العبد وحده ومعه ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبه المهدي الى هكس وجنوده وهذه صورته

” بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
 ” وبعد فن عبد ربه التقير المعتم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من
 اهل الجردة ممن له عقل فانه لا يخفى على ذي عقل الامر بيد الله لا يشاركه في ذلك بتادق
 ولا مدافع ولا صواريخ ولا عصمة لاحد الا من عصمه الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان
 الله واحد فلا تغفروا بأسلحتكم ولا يجنودكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فان لاقوة
 لشيء دون الله وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا انكذب انما يصدر من يحب الدنيا ويحاف
 الخلق ويستعجز قوة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغفروا قول علائكم فان الترك الذين تلتهم
 شكوا للحق عن وجل وقالوا يا الهنا ومولانا ان المهدي تلتنا فأقول انذرتهم يارب فلم يسمعوا
 وحضر على ذلك شاهدًا سيد الوجود (صلم) وقال لهم الامام المهدي انذرتكم فلم تسمعوا
 له وسمعتم قول علائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا
 للذين استكبروا لولا انتم لكننا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صدقناكم
 عن الهدى اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة
 وتصدقوا بهديتنا وتخرجوا اليها مسلمين ومن سلم يسلم وان ايتم الا الجحود والاعتذار بالمدافع
 والبارود فانتم مقتولون كما اخبر سيد الوجود واسوكنكم من سبقكم من الجنود والسلام
 فلما اطلع هكس على الكتاب مرهفة واحرق نسخة كلها . وسأل العبد عن الخبر فقال ان
 المهدي امر بقتله وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة

(واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو يوم وصول
 العبد الى علوه استعمل المهدي على الابيض احد اقاربه عبد الله ود الصمد وخرج بميش
 ينيف عن ٥٠ الفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتقول وهو منهل قليل المياه جداً
 حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا به لا يكاد يكفي المشربين منهم فضلاً عن دوابهم . قالوا فلما
 نزل المهدي به ورأى قلة الماء صفر فخرج منه ما غزير اروي تلك الجيوش وفاض حتى سقوا
 وراح لهم وملاوا قريهم III

ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجاد السير لیسبقه اليه
 فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من اقاربه وضوء الدين بن عبد الله رئيس التواب ومن
 معها من اهل رايتهما بجندوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي
 يياقي اصحابه صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من منهل فرتقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة
 وكان هكس لما علم من العبد ان المهدي قصد البركة ارسل اليها رسلاً من علوه

لتحقيق الخبر فمادوا واخبروا ان الدراويش قد احتلوا فجمع هكس اذ ذاك الفباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة واقروا على الطريق الملبس التي توربشكان فخرجوا من علوبة فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة اميال ثم وقفوا وزربوا زربية منبنة وبناتوا فيها الى صباح الاحد وبات الدراويش المطاردون لهم بالقرب منهم

اما المهدي فانه عند وصوله الى البركة ظهر يوم السبت كما مر اناه ابراهيم الحاج الشهير بالترجماني ومعه جماعة وقالوا له ياسيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الايض ليستاصلوا من فيها ويحوزوا النساء والقرية حتى شاع الخبر في الجيش وارجمف الناس بذلك فلنتوجه الى الايض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس انصتوا ثم بصق في كفه اليسرى وقال اي شيء هذا قالوا بصاق ياسيدي ثم طرحه على الارض فشرته في الحال فقال للناس هل ترون لهذا البصاق أثرا فقالوا له لا فقال نحن كالارض والترك كالبصاق . ثم قال اذا طار طائر فاين ينزل فقالوا له على الارض فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالارض ايها الناس اثبتوا واطمئنوا وتولوا وواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال غدا يوم الاحد نتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان تأمركم بخروجهم اذا تأخر احدكم لاصلاح فاعلوه لم يدركهم احياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان واهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابراهيم الترجماوي المذكور وارسلهم نجدة للسرية المطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالجيش من كل جانب احاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصره . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشه قاصداً الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضا بمنهل ام مصارين فلما نزل المهدي به قال له بعض اصحابه ياسيدي هذا المنهل يدعى بمنهل ام مصارين فقال ان مصارين الترك تصب فيه

وكان هكس لما اصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كانت باثنا فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتله بجيوشه فاسار ساعة حتى خرج من جيش المهدي حمدان ابو عتيجه وعبد الله ود النور وفوزي احد كتّاب المهدي بين معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحملوا حملة صادقة على ساقه الجيش حيث المهجمات والدخائر فاختلفوا بالعساكر فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم ولكنهم تمكنوا من اخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك المعركة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبد الله ود النور وقتل من الجيش رجب

بك قومندان الآلاي الرابع ونفر من العساكر . ووزب الجيش في محل الواقعة زرية من شوك واقام فيها . قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حل بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا الى المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم اخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم وانما هلاكهم يكون غداً الاثنين . وبقي اصحاب الاسلحة النارية منهم محيطين بالجيش يرمونه بالرصاص بقية ذلك اليوم وليلة الاثنين الى الصباح فحملوه خسارة تذكر وكان في جملة من قتله جورجى بك الحكيم . فرأى هكس ان الإقامة في تلك الزرية لا تجدي نفعا ولم يكن يدري اي سبيل يتبع فجمع مجامعاً من الضباط العظام والملكية الذين يحبوه فلم يقرؤا على رأي وكثر اللفظ بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدهم عن الماء فابتغوا بالهلاك . فعول هكس اذ ذاك على السير تحت رحمة الله نحو سهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معه كان بينهم وبين المهدي مواطأة سرية فتادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر ١٨٨٣ خرج هكس بجيشه من الزرية بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والاخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع معاتة وذخائره . وسار هكس واركان حربه في مقدمة الجيش يتبعه بعض الظريحية بربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الآخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيه غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيشه في تينك الغابتين عن يمين الجيش وشماله وجعل الباقي في وسط الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن النجوي وكان عمده فرجه ومن معه من الانصار لم يزالوا متممين الجيش من وراء فاصح الجيش مكتنفاً بجيوش الدراويش من الجهات الاربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد جمع امرائه لآخر مرة وصلى امامهم ثم رفع سيفه ونادى الله اكبر عليهم ثلاثاً ثم قال احملوا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان ارواحهم مزمنة ونيرانهم لا فعل لها وانكم لظافرون عليهم باذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليه حملة واحدة من كل جهة فاخترقوا صفوفه واقعدوا النشل في العساكر واخذوا يقتلونهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيف واستفرسوا في القتال فلم يمض ساعة حتى قتل الجيش برمتيه وفيهم هكس واركان حربه وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكت جثث القتلى في محل الواقعة كالتلال ولم يتبع من الجيش كلمة الا ملازمات

(وما محمد أفندي صلي من التصورة وقد فرّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحمد أفندي عزمي وقدمات في كردوفان) ونحو ثلاثمائة جندي اختبأوا بين الأشجار ودواب الحملة والقنلى فوقموا كلهم في الاسر. وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوه الى المهدي وقد قاتل هكس واركان حربه وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال سيلاً وماتوا موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم ابو امية والظاهر وغيرهما من اقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان ابن عم الخليفة محمد شريف وعبد الرحيم احد المادحين للمهدي وغيرهم فتلوا الى محل المهدي فاسر بدفنتهم بما عليهم من الثياب . ثم اسر المهدي فجمعت القنائم ونقلت الى البركة فكان منها شيء كثير من الاسلحة والجيخانة والمنافع والميرة . واقام المهدي بشيكان الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائداً الى منهل البركة فأقام فيه بضعة عشر يوماً وهناك فرّق القنائم بين اصحابه بعد اخراج الخمس منها لنفسه ثم عاد الى الايض بالمنافع والذخائر والاموال فدخلها باحتفال شائق وكسب الى عاله في الجهات بشراً ايام بالنصر الذي اتاه الله عن يده في ثلثة هكس وهذه صورة ما كتبه الى عثمان دفته في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ و٩ يناير سنة ١٨٨٤

” ومن خصوص الجردة المصرية التي يملككم انها حضرت الينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شرقتلة بما فيها من الرؤس الكبار احدهم علاه الدين باشا والثاني هكس النصراي والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم واسلحتهم يدنا وهي شيء كثير جداً وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ هـ بجهة علوية (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون الفاً (٩) فانقرضوا في اقل من ساعة واشتعلت النار في اجسامهم بأمر الله السناوي هذا وايدونا باخوانكم والسلام ” اه (اخلاء السودان) وكان هذا الانتحزال العظيم الذي اصاب الحكومة في شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان عقلاء اهل الجزيرة وغالب اهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يتزددون في اتباع محمد احمد وبتنظرون حربه مع هكس فلما علموا بما اصاب هكس وجيشه ورأوا عجز الحكومة على اذلاله انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووفدوا على المهدي بالايض افواجاً يابعونه وفي جنتهم الملك آدم أم دباله ملك جبال نقلي . وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كله فجاءته الوفود من الحجاز والهند وتونس وسراش لزيارته وتحقيق دعوتيه